جـــامعة زيـــان عـــاشور . الجلفة .

كلية الآداب واللغات والفنون

شهادة مشاركة

تتشرف كلية الآداب واللغات والفنون ومخبر المصطلح والمخطوط والأدب الجزائري المكتوب في الصحافة بمنح هذه الشهادة للدكتورة: ناوي كريمة –الطالبة صياد مليكة

تقديرا للمجهودات المبذولة في إثراء الملتقى الدولي الموسوم ب:واقع النقد الأدبي في الجزائر المنعقد بقسم الآداب المدرج – أ- يومي : 12 و13 ديسمبر 2017م

بمداخلتهما القيمة المعنونة ب: : خطاب النقد الأدبي الجزائري وإشكالية المنهج

رئيس الملتقى

رئيس الملتقى

إمضاء: لطرشي الطيب

استمارة المشاركة :
اسم ولقب المشارك : مليكة صياد
الرتبة : باحثة في طور الدكتوراه ل- م- د
الجامعة : جامعة زيان عاشور – الجلفة-
كلية : الآداب واللغات والفنون
قسم : اللغة العربية وآدابها
الهاتف 0665144682
البريد الإلكتروني malikasiad2015@gmail.com
محور المداخلة : **العمل الإبداعي والمناهج النقدية**
عنوان المداخلة : **خطاب النقد الأدبي في الجزائر وإشكالية المنهج**
الكلمات المفتاحية : الخطاب - النقد الأدبي الجزائري – إشكالية المنهج

الملخص :
إن خطاب النقد الأدبي في الجزائر ، مثله مثل أي خطاب نقدي آخر ؛ يعاني عدة إشكاليات على غرار (غياب نظرية نقدية ، إشكالية المنهج ، إشكالية المصطلح...إلخ) لكننا ارتأينا في هذه الورقة البحثية أن نسلط الضوء على إشكالية المنهج بالذات تحسبا لاعتبارات منها : - أهمية المنهج في مقاربة النصوص الأدبية .
- الصعوبات العديدة التي تواجه المنهج سواء في الجانب النظري ، أو أثناء عملية التطبيق .
لذلك سنحاول الإجابة على أسئلة من قبيل : ماذا يعني غياب نظرية نقدية ؟ وما الذي ينجر عنه ؟ وما هي الصعوبات التي تواجه المناهج النقدية في خطاب النقد الأدبي الجزائري ؟ أو بمعنى آخر فيم تتجلى إشكالية المنهج اليوم ؟
ونظرا لصعوبة الموضوع ، وامتداده، وتداخله مع إشكالية المصطلح ، وإشكالية اللغة النقدية ؛ فإننا سنحاول الاختصار قدر الإمكان ، لكنه الاختصار غير الضار، مع محاولة عدم الخروج عن صلب الموضوع ، مع العلم أن البحث في هكذا قضايا يتطلب مساحة بحثية أوسع .

Résumè
En Algerie, Le discours littéraire critique et tout autre discours littéraire, souffre de plusieurs problématiques à l'iustar de (l'absence d,une théorie critique, l'approche problématique, le terme problématique …etc)
Cependant nous avons estimé utile de bien vouloir, par cette recherche documentaire, de mettre en eirdence l'approche problématique en particulier en pirenanten consédiration :
- L'importance de la méthode dans la comparaison de textes litteraire .

- Les defferentes diffécultés rencontrées par la méthode que se soit théoriquement ou bien durant la mise en application, Donc nous allons essayer d'apporter des repouses de sorte de : que veut dire l'absence d'une théorie critique ? quelles sont ses coséquences ? quelles sont les difficultés rencontrées par les critique approches dans le Le discours littéraire critique Algerien ? autrement dit en quoi se pose l'approche problématique Aujourd 'hui ?

Conpte tenue de la difficulté du sujet et son interdependance avec le terme problématique, Nous allons essyer de résumer antant que possible mais c'est une concision auodine, en tachant de rapporter avec le sujet, sachant que la recherche sur telles questions exige des études de grande envegure .

في البداية نريد أن نجيب على سؤال قد يتبادر إلى ذهن القارئ ، هو : لماذا اخترنا عبارة " خطاب النقد الأدبي"، ولماذا لم نقل منظومة النقد الأدبي مثلا ، أو نظرية النقد ، أو النقد الأدبي فقط ؟ إن الإجابة على هذا السؤال ، تتطلب أولا الوقوف على معنى كلمة "خطاب" :« يعرف الخطاب بأنه إنجاز في الزمان والمكان ، يقتضي لقيامه شروطا أهمها المخاطِب والمخاطَب ، وتُحدِّد كيان الخطاب مكونات تعلن عن وجوده أو حدوثه وهي : الأصوات والتراكيب والدلالة والتداول .»[1] وهي من الألفاظ حديثة النشأة :« "الخطاب" مصطلح حديث النشأة ، ظهر أول ما ظهر في أدبيات "هاريس Haris "عام 1852، ضمن بحث في مجال اللسانيات بعنوان (تحليل الخطاب) .»[2] ولقد كانت المعالجة المنهجية لهذا المصطلح، وقضاياه ، على يد "بنفنيست" ؛ ذلك أن :« الخطوة الألسنية المهمة المتعلقة بمسائل الخطاب وقضاياه ، قد جاءت على يد "بنفنيست" Benvenist (1902 – 1967) . حينما عرف الخطاب ، نقديا كان أو إبداعيا ، بأنه ذلك الملفوظ المنظور إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، وبمعنى آخر هو كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا ، وفي نية المتكلم التأثير على المستمع، بطريقة ما. »[3] فالخطاب إذن يتطلب حضور أطراف عملية التواصل. المتمثلة في المرسِل – الرسالة – المرسَل إليه ، ولا يهم إن كانت الرسالة شفهية أو مكتوبة :« يعد خطابا، كل ملفوظ/ مكتوب، يشكل وحدة تواصلية قائمة بذاتها، تقدم نفسها في صورة بناء فكري متماسك عابر للجملة (Transphrastique) . » [4] وإذا كان النقد قديم ، ومصطلح الخطاب حديث ، فإن الجمع بينهما قد يثير لبسا وغموضا ، يزولان عندما نعرف أن النقد يتطور يوما بعد يوم. وإذا كان قديما يتسم بالذاتية والانطباعية ، وكان الناقد ينقد أثره بنفسه ولنفسه ، على غرار شعراء المعلقات السبع . حيث كان الشاعر يمكث في نقدها ، وتصحيحها ، حولا كاملا حتى سميت الحوليات ، فإن النقد اليوم أصبح له فئته المختصة به ، كما أنه قد ظهر ما يعرف بـ"نقد النقد" ؛ أي أناس ينقدون المتون النقدية لغيرهم . فالنقد إذن أصبح معرضا هو الآخر لنقد مماثل ؛ لذا أصبح الناقد. وهو ينتج خطابه النقدي . يهتم بالنص المنقود ، والمتلقي لهذا النقد ، فحظور هذه الأطراف ، ومشاركتها الفعالة في عملية النقد . يدفعنا إلى عد النقد الأدبي خطابا . هذا من جهة .

ومن جهة أخرى . فقد أصبح النقد ينهل من عدة مجالات ، ويستفيد من عدة علوم. على غرار العلوم الإنسانية ، وعلوم اللسان ، وعلم الأنثروبولوجيا ، وعلوم الاتصال ، وغيرها ؛ كل ذلك يجعلنا نعد النقد الأدبي خطابا فعالا ، يؤثر في باقي الخطابات ويتأثر بها.

والخطابات تختلف : حسب الموضوع ، أو حسب آلية العمل ، أو حسب البنية :« إن الخطابات تختلف ، من حيث أنماطها، بحسب موضوعاتها، فثمة خطاب ثقافي وخطاب سياسي وخطاب إيديولوجي ,خطاب علمي وخطاب ديني.. أو بحسب بنيتها الفنية فهناك خطاب شعري أو خطاب روائي ..أو بحسب آلية اشتغالها كالخطاب الوصفي أو الحجاجي .. »[5] فأنماط الخطابات لا حصر لها .

ولكل خطاب سماته التي تميزه عن غيره ، فالخطاب النقدي :« هو ذلك المجموع من الأفكار والتمثلات والإرهاصات والمواقف، التي تستند إليها العملية النقدية ومادتها وموضوعها، وجملة مكونات فضائها، وعناصر مدخلاتها ومخرجاتها، بأدوات قد تكون من ذات الفضاء وقد يتم استعارتها واستحضارها من فضاءات أخرى، بغرض استقرائها وتجريبها .»[6] مما يؤكد أن الخطاب النقدي يتفاعل مع غيره من الخطابات، ويتأثر بما يحيط به من سياقات :« إن النقد الأدبي خطاب معرفي يتطلب فهمه معالجة ابستيمولوجية تستند إلى تصور يرى الخطاب النقدي حصيلة تفاعل عدد من السياقات الثقافية، يكتسب منها سلبا أو إيجابا قدرة الفعل، وينتزع منها شرعية تمكنه من المساهمة في التعبير عن "سلطة رمزية" وتأكيد عقد ثقافي يتخذ شكل "النقد" .»[7] وخطاب النقد الأدبي في الجزائر. مثله مثل غيره من الخطابات النقدية الغربية أو العربية ، نشأ وليدا ، ثم أخذ يحبو ، وما زال الحال مبكرا على القول إنه اليوم يقف على ساقه.

ولربما قد طالت الفترة التي بقي فيها خطاب النقد الأدبي في الجزائر في مرحلته الأولى ، ولا شك أن ذلك راجع للظروف القاهرة التي مرت بها الجزائر :« لقد عملت فرنسا ما بوسعها لتحطيم الشخصية الجزائرية وجعلها تابعة للمستعمر، فقد عملت على محاربة مؤسسات الدين وتقويض مهامها الاجتماعية، وقامت بهدم المساجد وتحويل ما تبقى منها إلى كنائس، وتخريب الزوايا ومدارس القرآن الكريم، ومنعت تعليم اللغة العربية، فما كان للثقافة الجزائرية واللغة العربية إلا التقوقع والانغلاق جراء تصادم ثقافتين متعارضتين. »[8] ولذلك نجد أن معظم النقاد. الذين اهتموا بدراسة نشأة النقد الأدبي في الجزائر. يجمعون على أن الستينيات من القرن الماضي هي التي شهدت ميلاد أول باكورة نقدية ممنهجة. تمثلت في رسالة الماجستير التي تقدم بها الدكتور أبو القاسم سعد الله بعنوان "محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري الحديث" :« تجمع جل الدراسات والبحوث التي تناولت المادة النقدية الجزائرية قبل 1961 م ، أن لا جدوى للبحث عن خطاب نقدي جزائري يستحق الدراسة والتمحيص ضمن أطر الخطاب النقدي وحدوده المنهجية الاصطلاحية .»[9] ورغم أن هذه الظروف قد أثرت على الحركة الثقافية بصفة عامة والأدبية بصفة خاصة ومنها ثم على النقد ؛ إلا أن الواقع والتاريخ يشهدان بأنه قد كانت هناك محاولات نقدية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:« أعمال أبي القاسم سعد الله النقدية التي بدأ يمارس النقد من خلالها منذ الخمسينيات ، حيث كانت بداياته النقدية الأولى في وقت مبكر جدا ، في جريدة البصائر التي نشر فيها عدة مقالات في النقد الأدبي منها (أرض الملاحم ، وشعرنا لا يمثلنا) وهما مقالين في نقد الشعر الجزائري آنذاك وقد كتبهما سعد الله سنة (1954م) . »[10] هذا بالإضافة إلى ما قدمه بعض الكتاب والشعراء من أمثال :« رمضان حمود ، محمد السعيد الزاهري، محمد البشير الابراهيمي ، ابن باديس ،

حمزة بوكوشة ، أحمد بن ذياب ، عبد الوهاب بن منصور ... »[11] فالنقد حتى وإن اتسم بالضعف إلا أنه كان موجودا ، والإجماع على أنه لم يكن هناك نقد قبل 1961 م يحتاج إلى إعادة دراسة .

أما إذا أردنا أن نبحث عن النشأة الحقيقية للنقد الأدبي في الجزائر. فلابد لنا إذن من أن نرجع إلى القرن الرابع هجري ، حيث نجد مؤلفا نقديا لناقد جزائري يدعى "عبد الكريم النهشلي" ، وهو ما يؤكده "محمد مرتاض" في معرض حديثه عن نشأة النقد في المغرب العربي، حيث يقول :« أن القرن السادس للهجرة يمثل الانطلاقة الحقيقية للنقد في المغرب الأقصى خاصة ، وأن النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة هو الذي يمثل ذلك في الجزائر على يد عبد الكريم النهشلي في كتابه الخاص الموسوم بـ"الممتع في علم الشعر وعمله" .»[12] مع العلم أن هذا الكتاب لم يصل إلينا كاملا ؛ بل وصلتنا أجزاء منه فقط ، ولكنها كانت كفيلة بالتأكيد على أن النقد في الجزائر قديم .

فالقول إذن بأن النقد الأدبي في الجزائر. قد ظهر متأخرا . قول يحتاج إلى مزيد من الدراسة والتحري ، ذلك أن الباحثين يقولون بأنه :« لا يمكننا الحديث عن خطاب نقدي يستحق العناية والدراسة قبل سنة 1961 م، وذلك لأنهم لم يجعلوا النقد ضمن اهتماماتهم المتخصصة . »[13] فعدم التخصص في فن دون كل الفنون. ميزة كانت تطبع العلماء في العصور السابقة ، حيث نجدهم موسوعيّي المعرفة ، وظاهرة التخصص في مجال محدد؛ ظاهرة حديثة، وبالتالي فالمسألة ليست حكرا على النقد وحده . بل تشمل كل العلوم ، حيث كان الطبيب أديبا، ومفكرا، وفيلسوفا ، وشاعرا . وكانت الكتب تُؤلف محتوية على جميع هذه التخصصات ، وبالتالي فهذا لا يعد عيبا : « إذا عرجنا إلى علوم العربية وتصفحنا جميع تقسيماتها عند المتقدمين من علمائنا فإننا لا نجد "النقد الأدبي" واحدا منها ، ولكن ذلك لا يعني بحال من الأحوال أن العرب كانوا يجهلون النقد الأدبي. »[14] وإذا ما اعتمدنا هذا المعيار في الحكم – التخصص- فهذا يعني أننا سنحكم على انعدام كل الفنون ، والعلوم . عند العرب ، والجزائريين . في القديم؛ لأننا لا نعثر على كتاب يتناول علما محددا ، أو فنا محددا ، دون غيره .

إن غياب مصنفات متخصصة ، مبوبة وواضحة المعالم في النقد. لا يعني بالضرورة غياب الممارسة النقدية .

ورغم كل ما رمي به النقد الأدبي في الجزائر ؛ من كونه كان ضعيفا ، لا يتعدى مجرد محاولات متناثرة في الصحف، وأنه كان يفتقد للمنهجية ، وأنه كان عبارة عن ملاحظات جزئية لا تتجاوز المجال اللغوي والنحوي ، وتركز على بعض أجزاء النص، وليس كل النص ؛ إلا أن الحقيقة أن الظروف التي مرت بها الجزائر : ابتداء بالعهد العثماني ، وانتهاء بالعهد الاستعماري. كانت ظروفا قاسية ، وقاهرة . تدفع إلى قتل روح الابداع في رحمه.

كما أن وجود مثل هذا النقد. الموصوف من قبل الدارسين الجزائريين بـ(مجرد محاولات) . هو عبارة عن تأسيس حقيقي للنقد ؛ إذ لا نعرف فنا ، أو علما قامت له قائمة دون بدايات ، والبدايات لابد لها من أخطاء.

هذا بالإضافة إلى أن استعمار فرنسا للجزائر اختلف عن باقي أنواع الاستعمار في الدول الشقيقة ، حيث سعت فرنسا إلى طمس كل معالم الهوية الجزائرية بغية جعل الجزائر قطعة فرنسية.

كما لا ننسى أن النقد العربي القديم في العصر الجاهلي. بدأ هو الآخر لغويا ، ونحويا ، وجزئيا، وانطباعيا . وهذه لا تعد عيوبا؛ لأنها : أولا تتوافق وروح العصر الجاهلي ، والبيئة العربية ، وثانيا : لأنها

لو استمرت ، وتطورت . لأسّست لفعل نقدي جاد. لولا فترة الجمود ، والركود . التي مرت بها الثقافة العربية بعد العصور العباسية.

ورغم اتفاق جل النقاد الجزائريين . على أنه لا وجود لنقد ممنهج ، وفعلي. قبل عام 1961 م ، إلا أنهم عندما أخذوا في تقسيم مسار النقد الأدبي في الجزائر إلى مراحل . أهملوا هذه النقطة ، وقالوا بأن هناك نقد أدبي في الجزائر. يؤرخ له امتدادا من القرن الماضي إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الأولى :« المرحلة الأولى تمتد من القرن الماضي إلى قيام الحرب العالمية الأولى ، والنقد فيها تقليدي. والثانية بدأت في أوائل العشرينيات وهي التي ظهرت فيها نظرة جديدة لمفهوم الأدب ووظيفته. أما بعد الاستقلال فقد ظهر النقد الانطباعي التأثري. »[15] مما يدفعنا إلى التساؤل الآتي : كيف نقول بانعدام نقد فعلي قبل 1961م ، ثم نؤرخ للنقد بما قبل الحرب العالمية الأولى .

كما أننا نجد اختلافا واضحا . يعتري مسألة تقسيم مسار النقد الأدبي في الجزائر إلى مراحل ؛ حيث اختلفت هذه المراحل استنادا إلى اختلاف المعيار المعتمد في التقسيم. فمنهم من اتكأ على معيار الحرب العالمية الثانية وليست الأولى :« المرحلة الأولى : تنتهي هذه المرحلة مع الحرب العالمية الثانية ، سيطرت عليها النظرة التقليدية التي تعتني بالتراث وتدعو إلى التمسك به وإحيائه وبعثه ... المرحلة الثانية : تتمثل هذه المرحلة في الدروس التي كان يلقيها الشيخ "عبد الحميد بن باديس" على تلامذته. إذ كان يدعوهم إلى القديم والعناية به...المرحلة الثالثة : مثل هذه المرحلة الشيخ البشير الإبراهيمي، الذي كان له دور بارز في الحركة الأدبية والنقدية... المرحلة الرابعة : تبدأ هذه المرحلة بعد الحرب العالمية الثانية، والتي تضاعف فيها الاحساس بالأدب والنقد وأهميتهما ودورهما .»[16] فإذا كانت المرحلة الأولى تتوقف عند الحرب العالمية الثانية فهذا يدل على وجود ممارسات نقدية قبل هذا التاريخ ، حيث لم تحدد بالضبط بداية هذه المرحلة، وتم الاكتفاء بتحديد النهاية فقط .

وهناك من اتكأ على نوع المنهج المتبع في الدراسة والنقد ، فكان التقسيم حينها إلى ثلاث مراحل :« مرحلة النقد السياقي، وهذا ما مثلته المناهج التاريخية، والنفسية ، والاجتماعية، التي تتخذ من العوامل الخارجية التي تحيط بالنص . مادة لها ، وتفسره حسبها، ومرحلة ثانية تمثل سيطرة المناهج النسقية ، التي تشتغل على بنية النص الابداعي كاللغة والبنية، والنظام ، العلامة ، الرمز، ومن بينها : البنيوية ، والأسلوبية والسيميائية ، وهناك مرحلة تلت النقد النسقي وحاولت تجاوزه وهي ما أطلق عليها بما بعد البنيوية. »[17] لكن التقسيم الذي لم يقع في التناقض ؛ هو تقسيم الدكتور "يوسف وغليسي" ، حيث قسم مسار النقد الأدبي في الجزائر إلى مرحلتين فقط هما : مرحلة ما قبل النقد ، ومرحلة النقد :« يصنف الدكتور يوسف وغليسي النقد الجزائري المعاصر إلى مرحلتين هما : مرحلة ما قبل النقد ، ومرحلة النقد، هذه الأخيرة التي يؤرخ لها بصدور كتاب أبو القاسم سعد الله سنة 1961م . »[18] وهذا هو القول الذي اتفق مع قضية التأريخ للنقد الأدبي في الجزائر بعام 1961 م .

إن الاختلاف في تحديد نشأة النقد الأدبي في الجزائر . ثم الاختلاف في عدد المراحل التي مر بها مسار النقد الأدبي الجزائري، وكذا الاختلاف في المعيار المعتمد في التقسيم ؛ من شأنه ارباك القارئ ، كما من شأنه أيضا أن يسم خطاب النقد الأدبي في الجزائر بالضبابية ، وعدم الوضوح . وهذا من بين الإشكاليات التي يطرحها هذا الخطاب ، ومن إشكالياته الأخرى نذكر : إشكالية النظرية النقدية والأسس

المرجعية ، وإشكالية المنهج . وهما إشكاليتان رئيسيتان تتفرع عنهما باقي الإشكاليات على غرار إشكالية المصطلح ، وإشكالية تطبيق المناهج .

- **إشكالية النظرية والأسس المعرفية**

إن من بين الإشكاليات التي يطرحها خطاب النقد الأدبي العربي بصفة عامة ، والجزائري بصفة خاصة ، هي إشكالية النظرية النقدية ؛ يعني الخلفيات الفلسفية والأسس المرجعية ، فمعلوم أن المناهج النقدية لا تتولد من فراغ، فلا بد لها من نظرية سابقة ، وهذه النظرية تكون في الأصل عبارة عن مجموعة من الأفكار . تترسخ ، وتتبلور . لتصبح فلسفة ، ينتج عنها نظرية ، تولد هذه الأخيرة منهجا ، والمنهج يتطلب آليات وإجراءات من أجل تطبيقه ، والمصطلح النقدي على رأسها . وهذا ما يمكن أن نمثل له بالمخطط الآتي :

بلورة تنتج يتطلب يطبق

أفكار ورؤى ← نظرية ← منهج ← مصطلح ← على النص

(خلفية فلسفية)

وبالتالي فهناك علاقة وطيدة بين الخلفية الفلسفية ، والمناهج النقدية، المطبقة على النصوص الأدبية . لذلك فحتى تكون هذه المناهج ناجعة . لا بد أن تكون النصوص الأدبية المطبقة عليها ذات خصوصية تتوافق والخلفيات الفلسفية التي انبثقت عنها هذه المناهج « إن مناهج النقد الأدبي في الغرب متحيزة في جوهرها للأنساق الحضارية التي نشأت واستمرت من خلالها وهذا يعني – ببساطة- أن تلك المناهج، بوصفها نظريات أو مقاربات أو أدوات بحثية تحليلية للأدب، تحمل مضامين ثقافية تجعلها متلائمة مع بيئتها الحضارية الغربية .»[19] من هنا وجب النظر في أهمية الخلفيات الفلسفية للمناهج النقدية ، فقبل الحديث عن إشكالية المنهج – وهي صلب موضوع هذه المداخلة - ، لا بد من الحديث عن إشكالية النظرية النقدية والخلفيات الفلسفية .

إن الأفكار منوطة بأصحابها الذين فكروا فيها، وهؤلاء المفكرين مرتبطين لا محالة بالبيئة التي نشأوا فيها ، بمعنى أنهم متأثرين بها ؛ لذلك لا يمكن في أي حال من الأحوال فصل هذه الأفكار عن البيئة التي نشأت فيها ؛ لأنها تحمل خصوصيتها :« أما القول بإمكانية فصل المنهج عن سياقه دون إحداث أية تغييرات، أو بعد إدخال تعديلات طفيفة، فهو نوع من الوهم الذي سرعان ما يتكشف تحت محك التحليل التاريخي للخلفية الثقافية الفلسفية التي تحملها تلك المناهج . »[20] وبالتالي فالنظريات التي انبثقت عنها المناهج النقدية جاءت كردة فعل للبيئة الاجتماعية والثقافية المحيطة بها .

إن خطاب النقد الأدبي في الجزائر إذن . يعاني من أزمتين فيما يخص هذه النظرية؛ الأولى: تتمثل في عجز نقادنا اليوم عن خلق نظرية تؤسس لفعل نقدي جاد. تتوافق وبيئتنا وخصوصيتنا الحضارية والثقافية :« لقد رفض - "عبد الملك مرتاض"- في المؤتمر المنعقد يوم 25 يناير 2004 ورغم جهوده الكثيفة – القول بوجود نظرية نقدية عربية، وقال : لا توجد نظرية نقدية عربية ، نحن جميعا من طنجة إلى البحرين عالة على النظرية النقدية الغربية المعاصرة . »[21] كما عجزوا عن استثمار موروثنا الثقافي، وجعله لبنة يؤسسون عليها خطابا نقديا جزائريا ، ولنا في النهشلي، الذي لم نستطع البحث والتقصي حول ما تبقى من أجزاء كتابه "الممتع في علم الشعر وعمله" ، والسعي للحصول عليها - إن كانت موجودة-، كما أننا لم نستطع مواصلة ما بدأه هو من جهود أكبر دليل .

أما الأزمة الثانية فهي عدم إحاطة نقادنا بالخلفيات الفلسفية للمناهج النقدية الغربية، والاكتفاء بتطبيق المناهج حيث يتم :« استقبال معطيات النقد الغربي المتمثل في مناهجه المتعددة من دون النظر إلى الخلفيات الفلسفية ، أو المرجعيات اللاهوتية ، أو التميز الحضاري والثقافي »[22] والبعض الذي ألمّ بهاته الخلفيات نجده لا يقيم لها وزنا أثناء عملية التطبيق ، ويكتفي بتطبيق المناهج معزولة عن خلفياتها ، والتعامل معها وكأنها منبتة من أصلها .

فالتأصيل النظري للمناهج النقدية ، ومحاولة خلق نظرية نقدية عربية جزائرية. أمر بات أكثر من ضرورة ، حتى يقوم النقد الأدبي الجزائري على أصول متينة :« لأن النقد فعالية تعد محصلة حقيقية لروح الأمة وواقعها الفكري والحضاري، فالنقد كالفكر لا بد له من الانتماء إلى مناخ عصره ونظامه.»[23] فلا بد لنا من فكر نقدي يتوافق وعصرنا ونظامنا. ولأن :« النقد الأوروبي يتحدر من تاريخ منعزل انعزالا تاما عن تاريخنا. »[24] فلا بد إذن عند استقدام المناهج النقدية الغربية ، مراعاة ضرورة ربطها بخلفياتها الفلسفية . خاصة أثناء التطبيق على النصوص الأدبية. وطبعا لكل منهج خلفيته الفلسفية ، وأرضيته التي انبنى عليها ، وعزله عنها يضعنا أمام صعوبات جمة. سواء في فهمه ، أو في تطبيقه . ونذكر على سبيل المثال المنهج السيميائي :« فقد يروق للبعض أن يتفادى مغامرة السير في المسالك الوعرة، فيرفض التفكير الفلسفي السيميائي في ساحتنا النقدية ، مكتفيا بالسيميائية في طابعها الإجرائي، مجردة من حمولتها المعرفية والنظرية ، ليسهل صبها في قوالب جامدة، لا روح فيها، ويتعامل معها تعاملا فظا، في أرض بلا علامات، وهو في ذلك كمن يفضل أن يدفن رأسه في الرمال أو يغمض عينيه حتى لا يرى من مخاض هذه النظرية ما لا يروقه، وهي تتولد في سياقاتها الفكرية والثقافية شرقا وغربا وهي سياقات تحكمها شرطية معرفية، وسيرورة منهجية، تؤرخ لحركة فكرية خالصة ، تتجاذبها حالت الانتشاء الفلسفي طورا، وحالات الانسداد المعرفي طورا آخر .»[25] وذلك تفاديا للغموض ، والإبهام . اللذان باتا يطبعان المقاربات النقدية الجزائرية الحديثة .

إشكالية المنهج

رغم أن خطاب النقد الأدبي في الجزائر يعاني عدة إشكاليات (انعدام نظرية نقدية محلية، عدم الإلمام بالنظرية النقدية الغربية، إشكالية المنهج، إشكالية المصطلح النقدي ...) ؛ إلا أن إشكالية المنهج تعد أهم هذه الإشكاليات على الإطلاق ؛ نظرا لكونها موصولة مباشرة بالنص الأدبي ، وبالتالي فأزمة المنهج تكتسي تجليا واضحا

، وتزيد أزمة خطاب النقد الأبي في الجزائر عمقا :« ولعل هذا ما جعل قضية المناهج النقدية تعد من القضايا الشائكة التي كانت وما تزال تحظى باهتمام الكثير من أهل الدراية في مجال البحث .»[26] هذه الأزمة دفعت بالقارئ إلى النفور من النقد ، والعزوف عنه أحيانا ، والعجز عنه في أحايين أخرى.

وتتجلى إشكالية المنهج فيما يأتي :

1. أن المنهج ما هو إلا أداة تساعد على الاقتراب من النص أكثر ، وتمكن من الغوص في أعماقه ومحاولة الوصول إلى معانيه المتخفية ، فهي مسخرة لخدمة النص ، وبالتالي أي اهتمام بها لا بد أن تكون الغاية من ورائه الاهتمام بالنص ليس أكثر ؛ ذلك أن :« المناهج النقدية المعاصرة وسائل وأدوات مساعدة على سبر أغوار الظاهرة الأدبية ، وليست غاية في حد ذاتها ، ففي البدء كان الخطاب الأدبي ثم كانت الممارسة النقدية ، التي لازمته وتطورت إلى مناهج النقد المتنوعة سياقية

كانت أو نصانية .»[27] لكن الاهتمام المتزايد مؤخرا بالمناهج حولها إلى غاية بعد أن كانت وسيلة ، فأدى هذا الاهتمام إلى .....

2. أن كل المناهج (السياقية والنسقية) – باستثناء المنهج اللغوي ، والمنهج الانطباعي. المعروفين في النقد الجزائري القديم- هي مناهج وليدة بيئة غربية. لها خصوصيتها الحضارية والثقافية، المختلفة تماما عن بيئتنا الجزائرية .
3. أن هذه المناهج وضعت بمقاسات تتلاءم والنصوص الأدبية الغربية ؛ لأن النقد في الغرب رافق الأدب وتطوراته ؛ الأمر الذي انجر عنه ميلاد هذا الزخم الكبير من المناهج النقدية . أي أن هذا السيل من المناهج المختلفة هو نتيجة سيل مماثل من النصوص الأدبية المختلفة .
4. أن هذه المناهج لا يمكن عزلها عن بيئتها مع الحفاظ على فاعليتها، ونجاعتها ، كما أن لهذه المناهج علاقة وطيدة بخلفياتها الفلسفية – ولا يمكن أن تفهم بمعزل عنها :« إن إتيان النص الإبداعي بوسائل إجرائية قصد استكناه خباياه يخضع بالضرورة لخصوصية النص وبيئة منشئه، لذلك فما يصلح كتطبيق على النص الغربي قد لا يصلح بالضرورة كتطبيق على النص العربي...لذا فالمتتبع للممارسات النقدية في خطاب الحداثة النقدية العربية يجد أن المناهج المستخدمة غربية الأصل مما يضع مستخدميها من النقاد أمام إشكالية التأصيل المنهجي . »[28] والملاحظ لخطاب النقد الأدبي في الجزائر. يجده استقدم المناهج الغربية مفصولة عن خلفياتها ؛ وهو الأمر الذي تسبب في غربتها ، وبالتالي غربة النصوص المدروسة بها ، فتغرب خطاب النقد الأدبي الجزائري ، وفقد هويته ، وتحول إلى خطاب مليء بشفرات يصعب فكها ، حتى على أولئك الذين طبقوا هذه المناهج .
5. أن هذه المناهج لم تُفهم بما فيه الكفاية لتطبيقها على النصوص الأدبية الجزائرية؛ والدليل اختلاف المقاربات النقدية حتى بين النقاد الذين يتبعون المنهج ذاته. فكثيرا ما نصادف دراستين تتبعان المنهج ذاته ؛ لكن يتراءى لك وكأنك أمام دراستين تتبعان منهجين مختلفين من شدة الاختلاف في التطبيق.
6. أن المقاربات النقدية التي تستعين بهذه المناهج. تتسم في أغلبها بالغموض والإبهام ؛ وبالتالي أضحت هي الأخرى تحتاج إلى مقاربة تشرحها وتفسرها .
7. أن النص لم يعد هو الذي يفرض على الناقد المنهج المناسب؛ بل أصبح الناقد هو الذي يفرض المنهج على النص فرضا ، والدليل أنه كلما ظهر في الغرب منهج ؛ أخذت الدراسات المتبعة لهذا المنهج تتوالى في خطاب النقد الأدبي الجزائري ، دون البحث في إن كان يناسب النص أم لا ، وتحولت الأنظار إلى المنهج بدل أن تظل مصوبة نحو النص :« إن تحول المنهج إلى غاية وتطويع النص ليلائم المنهج ، بل وحتى استنطاقه بما ليس فيه سعيا لتبرير أدوات هذا المنهج المستخدم بحثا عن سمة الحداثة، جعل الناقد المبرمج الذي يتبنى المناهج النقدية ويطبقها على النص العربي لا يخدم تراثنا ولا ثقافتنا المعاصرة في شيء، بل هو بهذا التبني والتطبيق يغوي ويربك ويبعثر ويهدر ويخرب ... »[29] فكثيرا ما يُظلم النص الأدبي من قبل المتبنّين لهذه المناهج ، والمؤمنين بها ، حيث يُقوّلونه ما لم يقل ، ويحملونه ما لا يحتمل ، مما ينتج عنه نص غريب عن دراسته .
8. سرعة تغيير النقاد للمناهج : إذ نجد الناقد الجزائري يتجول بين المناهج ، ويتقمص كل منهج يظهر في الغرب؛ حتى بات الناقد الواحد : بنيويا، وسيميائا، وتفكيكيا، وتأويليا . في ذات الوقت . كما بات

الناقد الجزائري ينتقل من هذا المنهج إلى ذاك دون أن يتمكن تمام التمكن من أي منهما. مما أفرز ظاهرة كثرة المناهج ، وقلة الدراسات الممنهجة.

9. عدم التعمق في المنهج الواحد . لدرجة الاستيعاب الكامل ؛ دفع ببعض النقاد أحيانا إلى اللجوء إلى الاستعانة بأكثر من منهج ؛ فظهرت مناهج مختلطة على غرار السيميوأسلوبية، والسيميوتفكيكية، وغيرها ، مما زاد من تأزم الوضع أكثر؛ إذ أصبح النص يقرأ بأكثر من منهج ، وأصبح القارئ أمام دراسات نقدية تحتاج هي الأخرى إلى نقد .
10. المناداة بالمنهج التكاملي ؛ أزّمت الوضع بدل أن تجد له حلا ؛ لأننا إذا أردنا أن نطبق عدة مناهج على نص واحد ، مع التعمق في التطبيق والدراسة ، فالأكيد أننا سنحتاج إلى مصنفات عديدة في نص واحد ، وهذا يبعدنا عن الوظيفة الحقيقية المنوطة بالنقد ، والمتمثلة في تقريب النص للقارئ ومساعدته على استكناه معانيه وخباياه.
11. الاختلاف الكبير في المصطلحات والمفاهيم بصفة عامة ؛ إذ نجد :« اضطراب كبير في التسمية، في التصنيف، حيث هناك الاتجاه والمنهج والمرحلة في التسمية، وهناك التقليدي والتجديدي والتاريخي والتأثري والواقعي، والسياقي والنصاني من حيث التصنيف . »[30] كما نلفي اختلافا بيّنا بين النقاد في المصطلحات والمفاهيم الخاصة بالمنهج الواحد؛ مما جعل القارئ أو المقبل على النقد يصطدم بصعوبة جمة في فهم المناهج ؛ كما أن عدم وضع آليات محددة ، وواضحة. خاصة بكل منهج ، ومتفق عليها من قبل النقاد. أدى إلى صعوبة فهم هذه المناهج ، وعدم امتلاك القدرة على تطبيقها ؛ وصعوبة التمكن من آلياتها إجراءاتها ، فتأزم خطاب النقد الأدبي أكثر فأكثر.

- **اقتراحات وحلول**

1- إعادة بعث وإحياء التراث النقدي الجزائري من خلال : البحث والتقصي المعمقين في المصنفات القديمة ، ومحاولة إحصاء وجمع المحاولات النقدية القديمة بعدها الإرهاصات الأولى لخطاب النقد الأدبي الجزائري ، وجعلها قاعدة يتم الانطلاق منها نحو بناء صرح نقدي أدبي جزائري محض .
2- العمل على توحيد الجهود وتكاتفها ، من أجل بناء نظرية نقدية. تراعي بيئتنا، وخصوصيتنا الحضارية والثقافية ، وتلائم منتجاتنا الأدبية، ونصوصنا الثرية، وتتماشى وتطور مسار الإبداع الأدبي في الجزائر. فتكون وليدة الجهود الفكرية الجزائرية . ومستوحاة من خصوصية الإبداع الأدبي الجزائري .
3- مراعاة الخصوصية الحضارية الغربية عند التفاعل مع الخطاب النقدي الغربي ، ومحاولة الاطلاع التام على منظومتهم النقدية لفرزها، ومعرفة ما يستقدم منها ، وما يترك .
4- ضرورة الإلمام بالخلفيات الفلسفية للمناهج النقدية ، قبل استقدامها وتطبيقها على النصوص الأدبية وذلك تفاديا لأي غموض يمكن أن يخيم علة المقاربات النقدية بسبب جهل أصل هذه المناهج .
5- محاولة التخصص في النقد ، من أجل التمكن منه . بل محاولة التخصص الدقيق ؛ أي التخصص في المنهج الواحد ؛ من أجل التعمق فيه والتمكن من أدواته وآلياته على أحسن وجه .
6- الاهتمام بالجانب التطبيقي للمناهج . ولا يتأتى ذلك إلا بحل واحد فقط هو جعل دراسة كيفية تطبيق المناهج على النصوص الأدبية مقياسا معتمدا يدر سفي الجامعة الجزائرية ، حيث يلقن للطالب كيفية

ممارسة النقد المنهجي والخروج به من التجريدي إلى الملموس ، لأن الاكتفاء بالنظري أوقع الطالب اليوم في بلبلة نقدية وجعله يفشل في مقاربة النص مقاربة منهجية .

خاتمة

رغم أن خطاب النقد الأدبي في الجزائر يعاني عدة إشكاليات ؛ لا سيما إشكالية المنهج ، والتي تبرز بشكل جلي في الدراسات النقدية المعاصرة ؛ إلا أن وجود أزمة لا يعني بشكل من الأشكال انعدام حلول لها، كما أنه لا يمنع مسار النقد الأدبي في الجزائر من التطور، والتحسن . ولنا في أسلافنا أسوة حسنة في النهوض بخطاب النقد الأدبي . كما أن حاضر النقد الأدبي في الجزائر يبشر بالخير : لكثرة النقاد، وللجهود النقدية المبذولة ؛ سواء في معالجة الإشكاليات ، أو في الرغبة في تأسيس خطاب نقدي جزائري . قائم على الأصول ، واع بالحاضر الثقافي ، مستفيدا من الخطابات النقدية الأخرى . متفاعلا معها . لا مستلبا ، ولا ذائبا فيها. بل متأثرا بها، مؤثرا فيها .

الهوامش

[1] بوقشور ، محمد ، الخطاب التربوي وتنمية القيم في النظام التعليمي الجزائري ، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية عدد خاص بالملتقى الوطني الأول حول التغير القيمي في المجتمع الجزائري ، جامعة فرحات عباس ، سطيف ، الجزائر يومي 4 ، 5 ماي 2009م ، ص 260

[2] بن عيسى ، هامل ، إشكالية الخطاب السيميائي في النقد الأدبي المغاربي (دراسة في نقد النقد) ، أطروحة دكتوراه ، جامعة وهران ، الجزائر ، 2012 م / 2013 م ، ص 9

[3] المرجع نفسه ، ص 9

[4] المرجع نفسه ، ص 8

[5] المرجع نفقسه ، ص 17

[6] المرجع نفسه ، ص 16

[7] تيسوكاي ، كريمة ، الخطاب النقدي عند "مصطفى ناصف"مذكرة ماجستير ، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ، الجزائر ، 2010 م ، ص 7

[8]. مخلوف ، حفيظة ، البعد الإيديولوجي في نقد الرواية الجزائرية ، مذكرة ماجستير ، جامعة وهران ، الجزائر ، 2009 م / 2010 م ، ص 14

[9] مالكية ، بلقاسم ، تصنيف الاتجاهات النقدية في الجزائر إشكالية نص ؟ أم إشكالية قراءة ؟ مجلة مقاليد ، العدد الثالث ، ديسمبر 2012 م ، ص 250

[10] زين ، حفيظة ، النقد الأدبي في آثار أبي القاسم سعد الله ، أطروحة دكتوراه ، جامعة قسنطينة (1) ، الجزائر ، 2014 م /2015 م ، ص 50

[11] خليلي ، منال ، صالحي ، مريم ، النظرية السيميائية في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر"أحمد يوسف" أنموذجا ، مذكرة ماستر ، جامعة العربي التبسي ، تبسة ، الجزائر ، 201 م / 2017م ، ص

[12] مرتاض ، محمد ، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي- نشأته وتطوره- (دراسة وتطبيق) منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سورية ، 2000م ، ص 38

[13]. لطرش ، صليحة ، تحولات الفكر النقدي العربي المعاصر، النقد الأدبي الجزائري (1970- 2012) أنموذجا ، أطروحة دكتوراه ، جامعة محمد لمين دباغين ، سطيف 2 ، الجزائر ، 201 م / 2017 م ، ص 461

[14] بن حمو ، سليمان ، النقد الأدبي العربي من الانطباعية إلى المناهج الغربية (دراسة في الهوية والانتماء) ، مجلة آفاق علمية ، العدد 9 ، جوان 2014 م ، ص 33

[15] مصايف ، محمد ، النثر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د ط ، 1983 م ، ص 141

[16] سحنين ، علي ، المشهد النقدي في الجزائر قبل الاستقلال ، جريدة الأسبوع الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سورية ، السنة السادسة والعشرون ، العدد 1288 ، 17 / 03 / 2012 م ، ص 7

[17] خليلي ، منال ، صالحي ، مريم ، النظرية السيميائية في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر"أحمد يوسف" أنموذجا ، ص 8

[18] مالكية ، بلقاسم ، تصنيف الاتجاهات النقدية في الجزائر إشكالية نص ؟ أم إشكالية قراءة ؟ ، ص 250

[19] المسيري ، عبد الوهاب ، إشكالية التحيز رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد ، الجزء 1 ، سلسلة المنهجية الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فيرجينيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ط 2 ، 1996م ، ص 267

[20] المرجع نفسه ، ص 268

[21] باوية ، صلاح الدين ، النقد الأدبي العربي - مزالق وحلول - ، مجلة الذاكرة ، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري ، العدد 8 ، جانفي 2017 م ، ص 250 ، 251

[22] سعد الله ، محمد سالم ، النقد المهجن دراسة في فاعلية النقد العربي المعاصر ، مجلة علامات ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، السعودية ، العدد 24 ، ص 102

[23] بن حمو ، سليمان ، النقد الأدبي العربي من الانطباعية إلى المناهج الغربية (دراسة في الهوية والانتماء) ، ص 36

[24] باوية ، صلاح الدين ، النقد الأدبي العربي - مزالق وحلول - ، ص 244

[25] بن عيسى ، هامل ، إشكالية الخطاب السيميائي في النقد الأدبي المغاربي (دراسة في نقد النقد) ، ص 306

[26] سعدون ، فاطمة ، المناهج النقدية : إشكالية التطبيق والوعي بالأصول ، مجلة جسور المعرفة للتعليمية والدراسات اللغوية والأدبية ، ، مخبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب ، جامعة حسيبة بن بوعلي ، الشلف ، الجزائر ، العدد 7 ، سبتمبر 2016م ، ص 71

[27]. عامر ، رضا ، المناهج النقدية المعاصرة ومشكلاتها – المنهج السيميائي نموذجا - ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، جامعة غرداية ، الجزائر ، العدد ، 3 ، 2009 م ، ص 325

[28] سعدون ، فاطمة ، المناهج النقدية : إشكالية التطبيق والوعي بالأصول ، ص 71

[29]. المرجع نفسه ، ص 73

[30] مالكية ، بلقاسم ، تصنيف الاتجاهات النقدية في الجزائر إشكالية نص ؟ أم إشكالية قراءة ؟ ، ص 254